

الثـلـاثـاء 15-09-2009

746 - "الـقـطـةـ الـثـمـنـ بـداخـلـهـ" (ـ1ـ مـنـ 3ـ)

الـبـابـ الثـلـاثـيـ الـحـالـةـ (ـ3ـ)



## دـرـاسـةـ فـيـ عـلـمـ السـيـكـوـبـاـثـولـجـيـ (ـالـكـاتـبـ الثـانـيـ)

لوـحـاتـ تـشـكـيـلـيـةـ مـنـ العـلاـجـ النـفـسـيـ وـالـحـيـاةـ  
شـرـحـ عـلـىـ المـقـنـ : دـيـوـانـ اـغـوارـ النـفـسـ

.... الطـرـيقـ إـلـىـ "ـاـلـآـخـرـ"ـ اـقـتـرـابـاـ،ـ فـتـوـجـسـاـ،ـ فـتـرـاجـعاـ

تـتـدـاخـلـ مـراـحـلـ النـمـوـ (ـأـثـنـاءـ النـمـوـ،ـ أـوـ أـثـنـاءـ الـعـلـاجـ)ـ تـدـاخـلـ خـفـيـاـ وـمـتـنـوـعـاـ مـجـاـهـدـاـ إـلـىـ فـحـصـ مـتـأنـ طـوـلـ الـوقـتــ لـاـ يـوـجـدـ مـوـقـفـ "ـكـرـ"ـ فـرـ"ـ (ـبـارـنـوـيـ)ـ خـالـيـاـ،ـ كـمـاـ لـاـ يـوـجـدـ مـوـقـفـ "ـعـلـاقـاتـ بـشـرـىـ"ـ (ـاـكـتـئـابـ)ـ مـنـفـصـلـ تـمـامـاـ،ـ التـدـاخـلـ يـشـمـلـ التـذـبذـبـ وـالـمـراـوـحةـ طـوـلـ الـوقـتــ.

فـ التـشـكـيلـ اـخـالـ الـمـسـأـلـةـ لـاـ تـقـتـصـرـ عـلـىـ التـاكـيدـ عـلـىـ الـخـوفـ مـنـ اـقـتـرـابـ،ـ مـنـ الـهـجـرـ،ـ مـنـ التـرـكـ،ـ التـشـكـيلـ هـنـاـ لـاـ يـبـدـأـ بـالـصـدـ وـالـدـفـعـ بـعـيـدـاـ بـلـ بـمـبـادـةـ اـلـاقـتـرـابـ لـاـخـتـيـارـ إـمـكـانـيـةـ الـعـلـاقـةـ دـوـنـ التـخـلـيـ عـنـ التـوـجـسـ وـالـخـوفـ،ـ هـوـ لـيـسـ مـوـقـفـ "ـكـرـ فـرـ"ـ صـرـفـ،ـ بـلـ إـنـهـ بـمـيـاثـاـةـ حـاـوـلـةـ نـقـلـةـ،ـ تـذـبذـبـ خـطـوـاتـ تـصـفـ تـنـوـيـعـاتـ مـتـنـوـعـةـ مـتـبـالـدـةـ مـاـ بـيـنـ عـدـةـ مـوـاقـفـ فـ نـفـسـ الـوقـتـ،ـ طـوـلـ الـوقـتـ،ـ لـكـنـهـاـ تـنـتـهـيـ -ـ مـنـ فـرـطـ غـلـبـةـ عـدـمـ الـثـقـةـ وـالـتـوـجـســ إـلـىـ مـوـقـفـ الـلـاعـلـاقـاتـيـ (ـالـشـيـزـيـزـيـ)ـ "ـحـاـخـطـ"ـ حـتـةـ لـحـمـةـ مـنـ سـتـيـ،ـ وـاجـرـ آـكـلـهـاـ،ـ قـتـ الـكـرـسـيـ المـشـ باـيـنـ".

الـصـورـةـ تـبـدـأـ بـإـعـلـانـ حـاـوـلـةـ التـرـاجـعـ عـنـ مـوـقـفـ "ـالـكـرـ وـالـفـرـ"ـ (ـبـارـنـوـيـ)ـ بـالـتـقـدـمـ خـوـ المـوـقـفـ الـعـلـاقـاتـيـ بـشـكـلـ ماـ،ـ كـاـنـهـ يـقـدـمـ أـورـاقـ اـعـتـمـادـهـ لـاـخـرـ،ـ لـيـعـتـبـرـهـ "ـمـوـضـوعـاـ بـشـرـيـاـ"ـ لـهـ حـقـ الشـوـفـانـ وـالـاعـتـرـافـ،ـ وـهـوـ فـ نـفـسـ الـوقـتـ يـجـسـ نـبـفـ وـجـودـ الـآـخـرـ فـ وـعـيـهـ،ـ وـبـالـعـكـسـ،ـ لـعـلـ وـعـسـيـ:

والعين الخايفـة الـلى بـتـلـفـع فـالـضـلـمـة

عـمـالـة تـخـبـرـ النـاسـ

بـتـقـرـبـ من بـخـرـ خـنـائـهـمـ

زـىـ القـطـ ما بـيـشـمـشـ لـبـنـ الطـفـلـ بشـارـبـهـ

في قصيدة "جلد بالملقب" في ديوان سر اللعبة، كان الخوف من الاقتراب هو الأصل، بدأت القصيدة هناك بأمر كأنه نذير أو تحذير من الاقتراب (من العلاقة البشرية) دفاعاً ضد أي اقتراب:

لا تقربوا أكثر،

إذ أنى

ألبس جلدي بالملقب

حتى يدمى من لمس الآخر

فيخاف ويرتد إذ يصغى كفيه نزف حـىـ

أما في الخبرة الحالية فقد حاولت أن أكشف كيف أن "التركيب البارانوى"، حين يحاول أن يخطو خطواته الأولى للتعرف على الموضوع إنما يفعل ذلك بتلقائية حذرة، وهو يتحسس طريقه للحصول على صك الوجود من خلال أن "يُشـافـ" ، أن يُعـترـفـ بهـ، هذه هي البداية التي تتيح له فرصة أن "يـكونـ" في "يتواصلـ". قصيدة "جلد بالملقب" (بالفصحي/سر اللعبة) تبدأ من بؤرة الموقف البارانوى (الكرــفرــ) بالدفع بعيداً، في حين أن التشكيل هنا يبدأ بإعلان مجرية الاقتراب برغم استمرار الخوف:

بـتـقـرـبـ من بـخـرـ خـنـائـهـمـ

زـىـ القـطـ ما بـيـشـمـشـ لـبـنـ الطـفـلـ بشـارـبـهـ.

عـمـالـة بـتـسـأـلـ

عاـيـزـيـئـ؟

طـبـ لـيهـ؟

عاـيـزـيـئـ لـيهـ؟

توظيف هذا العمل (الشرح/الاستلهام) في خدمة الإمبراطورية النفسية (السيكوباثولوجي) والعلاج النفسي، مع خطأرة تشويه ومسخ الشعر شعراً، يسمح لنا بالإشارة إلى كيف أن محاولة عمل علاقة مع صاحب (مرحلة) هذا التركيب هي مغامرة تحتاج إلى مهارة علاجية فائقة، علاقة حقيقة تحتوى أوهام المطاردة ولا تكتفى بكبتها، ولا تستطع بالنمائح والإقناع، في خبرتى وجدت أنها مرحلة عادة ما قد تحتاج إلى ما هو أكبر من العلاج الفردى، (بالإضافة إلى اللازم من عقاقير) لاحظت أن

العلاج الجماعي، وكذلك علاج الوسط مما أقدر على احتواهها بابعطاء المريض فرصة اختبار أكثر من "موضوع بشري واحد"، بما يزيد من فرصة نجاحه في محاولته مواصلة مسيرة النمو.

تببدأ هنا المحاولة انطلاقاً من موقف التوجس الخذل، بمراجعة الأمر عبر الاحتمالات الأخرى، وذلك من خلال طرح تساؤلات بديلة عن أن الموضوع (منْ هو "ليس أنا") هو خطير طول الوقت، الشخص في مسيرته النهائية في هذه المرحلة لا يمكن من التساؤل عن ما إذا كان "مرغوباً فيه" أم لا (عما يزئني!؟). وهو بذلك يحاول أن يتجاوز يقيننا سابقاً كان يبرر له كره وفرجه طول الوقت، هذا اليقين الذي أكد له: "أن أحداً لا يريده، لا يعترف به، لم يره، لا يرغب في الاعتراف به"، فهو بطرحه هذه الأسئلة يبدو أقرب لاستعداداً لتصديقه الإيجابية إن جاءت بالإيجاب، وهكذا يبدو أنه بدأ يخلص إلى يقينه من تجربته المريضة السابقة (توهمها أكثر منها حقيقة) التي ضاعت عنده ما وصله من مشاعر: الإنكار، والإهمال، والرفض...، فهو يتساءل - يسائل نفسه أساساً - ما الذي جذبه، فيه أو فيهم، بحيث يشجعه على المضي في المراجعة ربما يصله أنه أصبح "مرغوباً فيه الآن؟"

### إِشْعَنِيُّ الْوَقْتِيُّ؟

وهو يواصل التساؤل - مهما وصله من إجابات إيجابية - فهذه طبيعة المرحلة، التي لا تستبعد وصول أية رسالة ذات فاعلية نهائية إليه.

من الطبيعي أنه يلزم للقرار بالرغبة في قبول "وجود" آخر، أن تعرف به، أن ترى حقيقته الكلية ابتداءً ما أمكن ذلك، الحاجة إلى "الشفوان" إلى الاعتراف ، لا تتطلب مجرد الإعلان التقريري أو إطلاق ألفاظ الحب والرضا، ولا حتى الرعاية الظاهرة! إن الأم تريد ابنها بداعه و"تعوزه" ، (إلا ما ندر)، لكن هل هي تريده وتظل تراه وهو في طريقه أن يكون كياناً مستقلاً منفصلاً عنها بشكل حقيقي؟ أم أنها تراه غالباً، أو تماماً، امتداداً لذاتها وكأنه ما زال قابعاً في رحمها؟ هل هي تراه "كله" ، أم ترى الجزء الذي يظهر منه ويسمح لها بامتلاكه؟ حتى الطفل في هذه السن الباكرة يريد أن يرى كله، وأن يُعرف به كما هو، له، وليس باعتباره شيئاً مضافاً إلى ملكية الأسرة ، إلى ملكية الأم بالذات، هذه المرحلة، هي طبيعة بيولوجية حيوية، وهي تستمر حتى نقضى.

اختفاء هذا الموقف الباروني من ظاهر الواقع هو أدعى لافتراض أنه اختفى بالإنتقام، لا أكثر، وذلك يتفق ما أشرنا إليه من غلبة هذا الموقف (الكر- فر) على معظم سلوك الإنسان المعاصر في مرحلة تطوره الحالية (الحالة السابقة).

**بِصَحِّيْخِ عَايْزَتِي؟  
بَقِيَ حَدْ شَايِفْنِي يَا نَاسْ؟**

مـش لـازـم الـواـحـد مـنـك يـعـرـفـ:

هـوـه عـاـيز مـيـنـ؟

بـقـى حـد شـايـفـنـي أـنـاـ؟

أـنـا مـيـنـ؟

أـنـا أـطـلـع إـيـه؟ وـازـاـ؟

طـبـ لـيـهـ؟

الـهـ يـسـامـخـمـ. مـش قـصـدـيـ.

الـسـماـحـ هـنـا لـيـس سـماـحـاـ حـقـيقـيـاـ بـقـدـرـ ماـ هوـ تـسـلـيمـ لـخـلـفـ  
الـإـجـابـاتـ عنـ أـسـئـلـتـهـ الـلـحـوـجـ: ("عـاـيزـنـ؟؟") - بـقـى حـد شـايـقـيـ  
"أـنـاـ" - أـنـا أـطـلـعـ مـنـنـ ۱۰۰

إنـ الـاشـرـاطـ الـضـمـنـيـ الـذـى يـرـبـطـ "الـعـوزـانـ" بـ "الـشـوفـانـ"  
بـهـذـا الـقـدـرـ مـنـ الـمـوـضـوعـيـةـ، وـالـكـلـيـةـ، قـدـ يـبـدوـ أـنـهـ لـلـتـعـجـيزـ  
أـكـثـرـ مـنـهـ مـطـالـبـ حـقـيقـيـةـ بـالـاعـتـرـافـ، يـبـدوـ أـنـ الـمـنـاـوـرـةـ هـنـاـ  
تـهـدـيـفـ لـلـوـصـوـلـ إـلـىـ تـبـرـيرـ بـجـنـبـ الـخـوضـ فـعـلـقـةـ حـقـيقـيـةـ، إـذـ كـيـفـ  
يـطـالـبـ إـلـاـنـسـانـ - فـهـذـهـ الـمـرـحلـةـ - الـآـخـرـينـ أـنـ يـرـواـ دـاخـلـهـ  
أـيـضاـ، أـنـ يـرـوـهـ كـلـهـ، فـعـلـقـةـ حـقـيقـيـةـ، أـنـ يـرـوـهـ كـلـ جـهـدـهـ  
لـتـحـقـيقـ عـكـسـ ذـلـكـ !!!

وصلـ الـأـمـرـ بـأـحـدـ مـرـضـائـ مـنـ الصـعـيدـ جـداـ أـنـهـ كـانـ يـطـلـبـ مـنـ  
زـوـجـتـهـ أـنـ تـجـبـبـ عـلـىـ أـىـ سـؤـالـ يـطـرـحـهـ . . . بـنـفـسـ الـإـجـابـةـ الـتـىـ فـيـ  
ذـهـنـهـ بـنـفـسـ الـأـلـفـاظـ جـداـ، مـثـلاـ : إـذـاـ كـانـ فـيـ ذـهـنـهـ أـنـهـ سـوـفـ  
تـرـدـ بـالـإـجـابـ بـ "ـحـاضـرـ"ـ، فـهـوـ يـنـتـظـرـ هـذـاـ الـلـفـظـ تـحـديـداـ دـوـنـ  
أـيـةـ لـفـظـ آـخـرـ مـثـلـ "ـمـاـشـيـ"ـ، "ـمـوـافـقـةـ"ـ، أـوـ "ـتـمـامـ"ـ، وـكـانـتـ إـذـاـ  
لـمـ تـأـتـ بـالـلـفـظـ (أـوـ الـحـمـلـةـ)ـ الـمـحـدـدـ الـذـىـ فـيـ ذـهـنـهـ، يـرـفـضـ وـقـدـ  
يـعـطـيـهـ فـرـصـةـ أـخـرـىـ وـأـخـرـىـ حـتـىـ إـذـاـ عـجـزـ تـمـامـاـ تـارـ وـاعـتـدـىـ  
عـلـيـهـ عـدـوـانـاـ بـذـيـاـ فـعـلـاـتـتـ زـعـمـ أـنـهـ لـاـ تـرـاهـ، وـلـاـ تـخـسـ بـهـ، ثـمـ  
يـتـطـورـ الـأـمـرـ إـلـىـ مـاـ هـوـ أـخـطـرـ فـأـخـطـرـ حـتـىـ الـاتـهـامـ بـالـخـيـانـةـ.

حـيـنـ تـشـتـدـ الـحـاجـةـ بـعـيـلـ هـذـاـ الشـخـصـ، فـيـإـنـهـ قـدـ يـرـضـيـ بـأـيـةـ  
عـلـاقـةـ حـتـىـ لوـ كـانـتـ سـرـيـعـةـ، أـوـ مـؤـقـتـةـ، وـهـوـ قـدـ يـكـتـفـيـ أـنـ تـكـونـ  
مـنـ جـانـبـهـ هـوـ فـحـسـبـ، وـلـوـ كـبـدـيـةـ، ثـمـ إـنـهاـ حـيـنـ تـكـونـ مـنـ جـانـبـهـ  
بـهـذـهـ الـمـبـادـرـةـ، فـيـإـنـهاـ قـدـ تـطـمـنـتـهـ إـذـ يـظـلـ هـوـ الـتـحـكـمـ فـيـ  
شـروـطـهـ، وـكـانـهـ يـخـطـفـهـاـ خـطـفـاـ دـوـنـ إـذـنـ صـاحـبـهـ، هـذـاـ الـمـوـقـفـ  
يـطـمـنـتـهـ جـزـئـياـ بـرـغـمـ اـسـتـمـارـ تـوـجـسـهـ وـرـفـضـهـ، وـهـوـ مـوـقـفـ  
اـنـتـظـارـ بـشـكـلـ مـاـ، فـيـهـ دـرـجـةـ مـنـ الـبـصـيرـةـ، لـاـ تـمـنـعـ اـسـتـمـارـ  
اـخـاـولـةـ بـلـ إـنـهـ يـدـلـ عـلـىـ عـدـمـ فـقـدـ الـأـمـلـ فـيـ عـلـاقـةـ مـهـمـاـ كـانـ  
وـاـهـيـةـ أـوـ مـؤـقـتـةـ أـوـ مـذـبـذـةـ، لـكـنـ اـخـاـولـةـ مـسـتـمـرـةـ

وـإـلـيـكـ بـعـضـ مـاـ سـوـفـ نـبـدـأـ بـنـاقـشـتـهـ غـداـ:

أـنـاـ قـاعـدـ رـاضـيـ بـخـوـفـ الـبـشـرـأـضـيـ.

أـنـاـ قـاعـدـ لـامـ أـغـرـاضـيـ.

أنا قاعد راصد شاذ جامد،  
قاعد أَلْصَنْتُ، فاتح وعئي الجوانب  
على همس السّت المِش شاييفاني،  
وأشهيهَا،  
وامتهن في كعبوب رجليها.  
تتمَلَّمِلْ،  
أخطف همسة "أيُوه"، أو لمِسَة "يمِكِين".  
واجرى اتدفَى بـ "يَغْنِي" ،  
وانسى الـ "مِيش مُمْكِن".

\*\*\*\*\*

ونكمل غداً :

